القارئ: أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٦٢-٦٦].

الشيخ: أحسنْتَ، لا إله إلَّا اللهُ، لا إله إلَّا اللهُ.

الحمدُ للهِ، قولُهُ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} ذكرَ اللهُ في هذه الآيةِ الطَّوائفَ الأربعةَ الَّتي كلٌّ منها فيهم المؤمنُ وغيرُ المؤمنِ، لهذا قالَ: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} أي: مَنْ آمَنَ منهم، من الَّذين آمنُوا، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} الظَّاهرُ أنَّ المرادَ بهم المؤمنونَ بالقرآنِ وبالرَّسولِ محمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-، {وَالَّذِينَ هَادُوا} المنتسبونَ لشريعةِ التَّوراةِ بموسى وبالتَّوراةِ، والنَّصارى هم المنتسبونَ للمسيحِ -عليه السَّلامُ-، عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ.

والصَّابئونَ طائفةٌ رابعةٌ، اختلفَتْ عباراتُ المفسِّرينَ وكلامُهم عنهم، فهم طائفةٌ متنوِّعةٌ، ذكرَ ابنُ القيِّمِ أنَّهم خمسُ أصنافٍ، منهم المشركُ، ومنهم الموحِّدُ، ويقالُ لهم: "الصَّابئةُ الحنفاءُ"، المشركونَ منهم: منهم مَن يعبدُ الملائكةَ، قيلَ: يعبدونَ الملائكةَ، وقيلَ: يعبدونَ الكواكبَ، وهم قومُ إبراهيمَ؛ فإنَّ قومَ إبراهيمَ إمَّا هم الصَّابئةُ أو هم من الصَّابئة، قومُ إبراهيمَ كانَ من دينهم عبادةُ الكواكبِ، ولهذا إبراهيمُ ناظرَهم كما في سورةِ الأنعامِ: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي..} [الأنعام:٧٦] إلى آخرِ الآياتِ.

فالمقصودُ أنَّ هذه الأصنافَ الأربعَ طوائفُ كلٌّ منها، منهم المؤمنُ والكافرُ.

والمنتسبونَ إلى الإيمانِ بالقرآنِ وبالرَّسولِ محمَّدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-، منهم المؤمنُ الحقُّ ظاهرًا وباطنًا، ومنهم المنافقُ، فالمنافقُ يظهرُ الإيمانَ، {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة:٨]، ذكرَ اللهُ هذه الطَّوائفَ الأربعةَ في سورةِ المائدةِ، وذكرَ في سورةِ الحجِّ ستَّ طوائفَ، يقولُ ابنُ القيِّمِ أنَّ الطَّوائفَ الأربعَ أنَّها تنقسمُ كلُّ واحدةٍ منها تنقسمُ بينَ مؤمنٍ وكافرٍ، أمَّا الطَّوائفُ السِّتُّ في

سورة الحجِّ فإنَّهم ينقسمونَ في جملتهم، فإنَّ اللهَ قالَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج:١٧].

ويُلاحَظُ -واللهُ أعلمُ- أنَّ هذه الآيةَ عن سورةِ البقرةِ تصنيفٌ، فيها الإشارةُ إلى أنَّ اليهودَ الَّذين ذكرَ اللهُ ما ذكرَ عنهم في الآياتِ في المقدَّمةِ أنَّهم ليسُوا سواءً، كما قالَ في سورةِ آلِ عمرانَ: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ} [آل عمران:١١٣]، فلمَّا ذكرَ كفرَهم وتكذيبَهم بآياتِ اللهِ ومعاصيَهم وقبائحَهم تضمَّنتْ هذه الآيةُ أنَّ منهم، ومنهم ومنهم، ولهذا معنى قولِه: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} أي: مَن آمنَ منهم {بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} والإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ هذا فرضٌ على كلِّ مكلَّفٍ، وبهذا جاءَتِ الرُّسلُ، جاؤُوا بالدَّعوةِ إلى الإيمانِ باللهِ وباليومِ الآخرِ، ولا بدَّ معَ الإيمانِ من العملِ الصَّالحِ {وَعَمِلَ صَالِحًا} فهذا مناطُ السَّعادةِ، مناطُ السَّعادةِ: الإيمانُ والعملُ الصَّالحُ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٧]، الآياتُ في هذا كثيرةٌ، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٨٢]، {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة:٢٥].

{مَنْ آمَنَ ... وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} وقالَ في هذه السُّورةِ في سورةِ البقرةِ: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} [البقرة:١١١]، إلى قولِه: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:١١٢].

ثمَّ رجعَ السِّياقُ في خطابِ بني إسرائيلَ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ}، في خطابِ بني إسرائيلَ وتذكيرِهم بما كانَ منهم من المواقفِ القبيحةِ، وهنا قالَ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} واذكرُوا إذْ {أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} الجبلَ هو جبلُ سيناءَ، جاءَ في الآيةِ الأخرى ذكرٌ باسمِ الجبلِ {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} [الأعراف:١٧١]، يظهرُ -واللهُ أعلمُ- يعني واضحٌ أنَّ اللهَ أخذَ عليهم الميثاقَ أنْ يؤمنوا بما جاءَ به موسى من كتابِ اللهِ التَّوراةِ {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}، {وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف:١٤٥]، فالقرآنُ يفسِّرُ بعضُهُ بعضًا، فما أُجملَ في موضعٍ من هذا من القصصِ بُسطَ في موضعٍ آخرَ، قصصُ القرآنِ جارٍ على هذا، فبينَ سورةِ البقرةِ في الحديثِ عن بني إسرائيلَ يعني جاءَ ذكرُهم في سورةِ الأعرافِ، فجاءَ في سورةِ البقرةِ، وفي سورةِ البقرةِ ما ليسَ في سورةِ الأعرافِ، وفي سورةِ الأعرافِ ما ليسَ في سورةِ البقرةِ، سبحانَ اللهِ {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ}

تمامًا مثلُ {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأعراف:١٧١].

قالَ تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} يعني: أعرضْتُم عن القيامِ بما آتاكم اللهُ من الكتاب، {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} واللهُ أعلمُ، هذا فيه الإشارةُ إلى عفوِ اللهِ ورحمته وتوبته على مَن تابَ منهم، {ثُمَّ عَفَوْنَا} في الآيةِ الأخرى {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:٥٢]، كما تقدَّمَ، {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

ثمَّ أُشيرَ في الآيتينِ بعدَها أيضًا إلى ما كانَ من بعضِهم من العدوانِ عدوانِ السَّبتِ {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} فيه الإشارةُ إلى الَّذين احتالوا على الصَّيدِ، صيدِ السَّمكِ يومَ السَّبتِ، كما فصَّلَ اللهُ ذلك في سورةِ الأعراف: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف:١٦٣] إلى آخرِ الآيات، إلى قوله: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف:١٦٥-١٦٦]، هذا المعنى أُشيرَ إليه في هذا الموضعِ من سورةِ البقرة: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} واللهُ أعلمُ.

طالب: يا شيخُ وردَ أنَّه سيحصلُ قتالٌ بينَ المسلمينَ واليهودِ والنَّصارى وأنْ سيكونَ ذلك على دوابٍّ هل هذا يعني انقراضَ هذه الصِّناعاتِ والبترولِ؟

الشيخ: هذا مُنتظَرٌ، أقولُ: هذا مُنتظَرٌ، هذا متوقَّعٌ، قريبٌ واللهُ أعلمُ، اللهُ أعلمُ بما يكونُ، لكن..، عمرُ هذه الحضارةِ المنتفخة، هالحضارة [هذه الحضارة] المنتفخةُ أيش عمرُها؟ قلَّة يعني، يعني تسارعُها كلُّه ما يتجاوزُ مئةَ سنةٍ

الطالب: تنتهي هذه الصِّناعاتُ والأسلحةُ؟

الشيخ: إي اللهِ، اللهُ يعزُّ الإسلامَ والمسلمينَ، ويدمِّرُ الكافرينَ، اللهُ يدمِّرُ عليهم، اللهُ يدمِّرُ عليهم، لا حولَ ولا قوَّةَ، اللهُ يكفينا شرَّهم، سبحانَ اللهِ، لا إلهَ إلَّا اللهُ، شوف [انظرْ] تفسيرَ الآيةِ ذي {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا}

طالب: تفسيرُ الشَّيخِ عبد الرَّحمنِ السَّعديِّ

الشيخ: إي اختصارٌ جميلٌ، طيِّبٌ، أيش قالَ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا}؟

الطالب: أحسنَ اللهُ إليكم في [يوجد] قبلَها في

الشيخ: لا، لا، يطولُ {إِنَّ الَّذِينَ..} بس [فقط] الآيةَ

القارئ: قالَ: وهذا الحكمُ على أهلِ الكتابِ خاصَّةً، لأنَّ الصَّابئينَ، الصَّحيحُ أنَّهم مِن جملةِ فرقِ النّصارى

الشيخ: يعني هذا أحدُ الأقوالِ

القارئ: فأخبرَ اللهُ أنَّ المؤمنينَ مِن هذهِ الأمَّةِ، واليهودُ والنَّصارى، والصَّابئينَ

الشيخ: يعني والمؤمنينَ مِن اليهودِ والنَّصارى

القارئ: والصَّابئينَ مَن آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ، وصدَّقُوا رسلَهم، فإنّ لهم الأجرَ العظيمَ والأمنَ، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ، وأمَّا مَن كفرَ منهم باللهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ، فهوَ بضدِّ هذهِ الحالِ، فعليه الخوفُ والحزنُ.

والصَّحيحُ أنَّ هذا الحكمَ بينَ هذهِ الطَّوائفِ، مِن حيثُ هم، لا بالنِّسبةِ إلى الإيمانِ بمحمَّدٍ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ–، فإنَّ هذا إخبارٌ عنهم قبلَ بعثةِ محمَّدٍ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– وأنَّ هذا مضمونُ أحوالِهم، وهذهِ طريقةُ القرآنِ إذا وقعَ في بعضِ النُّفوسِ عندَ سياقِ الآياتِ بعضَ الأوهامِ، فلا بدَّ أنْ تجدَ ما يزيلُ ذلكَ الوهمَ؛ لأنَّهُ تنزيلُ مَنْ يعلمُ الأشياءَ قبلَ وجودِها، ومَنْ رحمتُهُ وسعَتْ كلَّ شيءٍ.

وذلكَ –واللهُ أعلمُ– أنَّهُ لَمَّا ذكرَ بني إسرائيلَ وذمَّهم، وذكرَ معاصيَهم وقبائحَهم، ربَّما وقعَ في بعضِ النُّفوسِ أنَّهم كلُّهم يشملُهم الذَّمُّ، فأرادَ الباري –تعالى– أنْ يبيِّنَ مَن لم يلحقْهُ الذَّمُّ منهم بوصفِه، ولَمَّا كانَ أيضًا ذكرُ بني إسرائيلَ خاصَّةً يوهمُ الاختصاصَ بهم. ذكرَ تعالى حكمًا عامًّا يشملُ الطَّوائفَ كلَّها، ليتَّضحَ الحقُّ، ويزولَ التَّوهُّمُ والإشكالُ، فسبحانَ مَن أودعَ في كتابِهِ ما يبهرُ عقولَ العالمينَ.

الشيخ: اللَّهمَّ انفعْنا بهِ، واجعلْهُ حجَّةً لنا لا حجَّةً علينا. انتهى؟

القارئ: نعم

الشيخ: أشارَ الشَّيخُ بهذا الكلامِ إلى أنَّ هذهِ الآيةَ تشبهُ أنْ تكونَ معترضةً بينَ سياقاتِ المشتملةِ على خطابِ بني إسرائيلَ، ابتداءً من قولِهِ: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ} [البقرة:٤٩]، {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ} [البقرة:٥٠]، {وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقَوْمِهِ} [البقرة:٥٤]، {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى} [البقرة:٥٥]، {وَإِذْ قُلْتُمْ} كلُّها وما بعدَها {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} [البقرة:٦٣]، إلى آخرِهِ. نعم مَن معَنا؟